سلسلة هكذا تحدث الدعاة والعلماء

عائض القرني

مناظرة بين فرعون وموسى عليه السلام

تعليق وإعداد

قسم الإعداد بدار الشريف

الكتاب	مناظرة بين فرعون وموسى ﷺ
المؤلف	قسم الإعداد
الناشر	دار الشريف للنشر والتوزيع
حقوق الطبع	محفوظة للناشر
الطبعة الأولى	٢٠٠٤
المطابع	شركة الجزيرة العالمية للطباعة الحديثة
رقم الإيداع لسلسلة هكذا تحدث الدعاة	٢٠٠٤/٥٨١٨
الترقيم الدولي	I.S.B.N:977-6054-03-x

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي وآله وبعد :
فهـذا حـديـث إلى أخ لي حبيـب . قـد أراه في كـل صـــف من الصــفوف . قد أراه بين كل اثنين . . . أراه في كل مســلم رضي بالله ربا، وبمحمد، ﷺ نبيا ، وبالإسلام دينا . . .
أخ لي .. . . لم يسـلم من أخطاء سـلوكية، وكلنا خطاء. . لم ينج من تقصير في العبادة وكلنا مقصر! ! . . ربما رأيته حليق اللحية، طويـل الثوب ، مـدمنا للتدخين ! ! . . بل ربما أسر ذنوبا أخرى ونحن المذنبون أبناء المذنبين ! ! .
نعم ! أريد أن أتحدث إليك أنت أخي حديثا أخصك به ، فهل تفتح لي أبواب قلبـك الطيـب ونوافـذ ذهنـك النير؟! ! . و الله الذي لا إله إلا هو إني لأحبك . . أحبك حبا يجعلني ... أشـــعر بالزهو كلما رأيتك تمشي خطوة إلى الأمام ! ! . .
وأشعر والله بالحسرة إذا رأيتك تراوح مكانك أو تتقهر ورائك !!. أحـدثـك حديثا اســـكب روحي في كلماته . وأمزق قلبي في عباراته . .

إنه أخي حديث القلب إلى القلب . حديث الـــــروح للأرواح يسري وتــدركــه الـقـلوب بلا عنـاء. هل تظن أن أخطاءنا أمر تفردنا به لم نسـبق إليه ؟! . كلا. .. فما كنا في يوم ملائكـــة لا يعصـون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . ولكن نحن بشر معـــرضـــون للخطيئة، يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم .

وكل من ترى من عباد الله الصالحين لهم ذنوب

وخطايا. قال ابن مســعود- رضي الله عنه- لأصــحابه وقد تبعوه : "لو علمتم بـذنوبي لرجمتموني بالحجارة"، وقال حبيبك محمد، صلى الله عليه وسلم : "لـو لم تـذنبوا لـذهـب اللـه بكم ولجـاء بقوم يـذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم) والله أخي لقد أحرقتنا الذنوب ، والمتنـا المعـاصي ولكن أيها الحبيب المحب أرعني ســمعك يا رعاك الله ! ! . إن هذه الخطايا ماســلمنا منها ولن نســلم ، ولكن الخطر أن تسـمح للشـيطان أن يسـتثمر ذنبك ويرابي في خطيئتـك . أتـدري كيف ذلك ؟ ! ! . . يلقي في روعك أن هذه الذنوب خندق يحاصرك فيه لا تســتطيع الخروج منه . . يلقي في روعـك أن هـذه الـذنوب تســلبـك أهلية العمل للدين أو الاهتمام بـه . ولايزال يوحي إليـك : دع أمر الـدين والـدعوة لأصـحاب اللحى الطويلة! والثياب القصيرة! دع أمر الدين لهم فما أنت منهم ! ! .

وهكذا يضــخم هذا الوهم في نفســك حتى يشــعرك أنك فئة والمتدينون فئة أخرى. وهذه يا أخي حيلة إبليســية ينبغي أن يكون عقلـك أكبر وأوعى من أن تمر عليـك . فـأنـت يـا أخي متـدين من المتدينين . . أنت تتعبد لله بأعظم عبادة تعبد بها بشرــ للـه . أن تتعبـد لله بالتوحيد. أنت الذي حملك إيمانك فطهرت أطرافك بالوضـوء، وعظمت ربك بالركوع ، وخضـعت له بالســجود. أنت صــاحب الفم المعطر بذكر الله ودعائه ، والقلـب المنور بتعظيم اللـه وإجلالـه . فهنيئـا لـك توحيـدك وهنيئا لك إيمانك . إنك يا أخي صاحب قضية . . أنت أكبر من أن تكون قضـيتك فريق كروي يكسـب أو يخسرـ . أنت أهم من أن تدور همومك حول شريط غنائي أو ســفرة للخارج . . أنت أهم من أن تدور همومك حول المتعة والأكل . فذلك كله ليس شــأنـك ، إن ذلـك شــأن غيرك ممن قال الله فيهم ﴿

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾

(012محمد)

أخي أنـت من يعيش لقضـــيـة أخطر وأكبر هي : هـذا الدين الذي تتعبد الله به. . . هذا الدين الذي هو سبب وجــودك في هذه الدنيا وقدومك إلى هذا الكون (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبـدون) ٠ (الـذاريـات إن أود أن أذكرك مرة أخرى أن تقصــيري لا إياك في طاعة ربنا أو خطئي وإياك في ســلوكنا لا يحللنـا أبـدا من هـذه المســئولية الكبرى ولا يعفينا من هذه القضـية الخطيرة انظر يا رعاك الله إلى هذين الموقفين : وأرجو أن تنظر إليهما نظرة فـاحصـــة . وأن تجعلهما تحـت مجهر بصـيرتك : واسـمع عن كعب بن مالك -رضي الله عنه- - حيث وقع هذا الصـحابي في خطا كبير، وهو التخلف عن رسـول الله ﷺ . ولو ظللنـا نتكتـب عن ذلـك مـا وفينـا الأمر حقـه ولكن جعلنـا الحديث جامع بين ذلك وذاك فكانت الســلســة هكذا تحدث الـدعـاة الهـدف منهـا هو وضـــع الطريق لجيل التمكين حتى يتمكن الإيمـان من القلب فطوفنا على خطب العلماء وكتبناها وأضـفنا ما يمكن في باب مستقل حتى تعم الفائدة وجعلنا كل خطبة في رســالة وكانت هذه الرســالة موجهة لجيل التمكين وشـــبـاب الصـــحوة فجرا الله العلماء خير الجزاء ونفعنا الله بعلمهم وجزاهم عنا خير الجزاء ..

واللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

دار الشريف للنشر

خطبة الشيخ

عائض القرني

مناظرة بين فرعون وموسى عليه السلام

نحن مع موسى بن عمران في هذا اليوم، وموسى بن عمران ﷺ ، شخصية لامعة في عالم الدع﷽ بل هو بطل القصص القرآني، الذي أنزله الله ﴿لى قلب النبي ، تسلية له ولأصحابه، وأخذاً للعبر والعظا﴿ لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى [يوسف:١١١].

وكما يقول بعض المفكرين: إن المناظرة بين موسى وفرعون كانت جدليةً، تنظيرية، عسكرية، اقتصادية، تربوية في نفس الوقت.

فحيا الله موسى بن عمران، وأهلاً وسهلاً ببطل الدعوة، الذي خاض غمارها، أكثر من خمسين عاماً.

فتعالوا نستمع إلى القرآن وهو يقصّ علينا من نبأ هذا النبي الكريم، فمن القرآن نأخذ القصص، ومنه نأخذ طرق الدعوة وأساليبها، ومنه نأخذ الأحكام والعقائد السلوك.

موسى في الصحراء، عصاه في يمينه، يجلس في ظل شجرة بعد أن أعياه هشّه على غنمه، فتأتيه عناية الله، وفضل الله، ووحي الله، يأتيه الأمر الإلهي بالذهاب إلى طاغية الأرض، السفاك المجرم، والإرهابي العميل، إلى فرعون الضال، الذي قتل النساء، والذي ذبح

الأطفال، والذي دمر الأجيال، والذي استعبد الشعوب، والذي عاث في الأرض فساداً.

يقول الله تعالى: ﴿وهل أتاك حديث موسى ۝ إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبسٍ أو أجد على النار هدى﴾ [طه:٩-١٠]. ثم كانت المفاجأة التي لم يكن ينتظرها، ﴿فلما أتاها نودي يا موسى ۝ إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادِ المقدس طوى ۝ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى﴾ [طه:١١-١٣]. وكأن موسى عليه السلام يتساءل: من أنت؟ ما حقيقتك؟ دُلني عليك؟ فيقول الله عز وجل: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾ [طه:١٤].

هذا هو رب العالمين، هذه حقيقته عند أهل السنة والجماعة، إذا قال لك أحد من هو الله؟ فقل هو الله.. الذي لا إله إلا هو، فالله يعرف نفسه لموسى عليه السلام ، كأنه يقول له: اعرفني قبل أن تُعرف بي، وقبل أن تنطلق بالدعوة إلي ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ۝ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى﴾ [طه:١٤-١٥].

فهذه ثلاث قضايا ينبغي أن يعرفها كل من يتصدر للدعوة إلى الله عز وجل.

القضية الأولى: قضية التوحيد والعبودية: ﴿ إنني أنا الله لا إله أنا فاعبدني ﴾ فلابد أن تعلم هذه القضية، قولاً وعملاً، وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يعلمها ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ [محمد:١٦]. فلا معبود بحق إلا الله، ولا متصرف إلا الله، ولا خالق، ولا مدبر، ولا حاكم، ولا مسيطر، ولا مرجوّ، ولا مقصود إلا الله تبارك وتعالى.

القضية الثانية: قضية الصلاة، فلا دين لمن لا صلاة له، ولا امتثال لمعالم العقيدة بغير صلاة.

والقضية الثالثة: قضية الإيمان باليوم الآخر، وهي قضية كبرى، ركز عليها القرآن في مواضع كثيرة، وأبطل زعم الذين أنكروا هذا اليوم ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤنّ بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ [التغابن:٧].

فعقيدة لا تبنى على اليوم الآخر عقيدة مهزوزة، وأدب وفن وجمال وتصوير لا يؤسّس على الإيمان باليوم الآخر، جهالة وعمالة ولعنة من الله تعالى.

ويوم سخر الكتبة أقلامهم في خدمة الإلحاد، وفي الاستهزاء باليوم الآخر، ضاعوا، وضلوا، ولعنوا في الدنيا والآخرة ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى ۝فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾ [طه:١٥-١٦].

ثم يتحدث الله بعد ذلك مع موسى حديثاً شيقاً، حديث الأنس واللطف؛ ليزيل الدهشة عنه، وليطرد الرعب عن نفسه، لأنه موقف صعب، لا يتحمله أي إنسان، تصور أنك تكلم الله تعالى، وتستمع إلى خطاب ملك الملوك، موسى كاد يطير قلبه من بين جوانحه، فألقى الله عليه خطاب المؤانسة والملاطفة، حتى لا يستوحش، وحتى لا تسيطر عليه الأوهام، والعرب كانت تعرف ذلك، فهذا الأزدي يقول في قصيدته:

أحادث ضيفـي قبـل إنـزال رحلـه

ويخصب عندي والمكان جديب

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى

ولكنما وجه الكريم خصيب

فيقول الله لموسى عليه السلام: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ [طه:١٧]. ليلاطفه، وليؤانسه.

وفهم موسى ذلك، فلم يقل: هي عصاً وسكت، وإنما لما لذّ له الخطاب زاد في الجواب؛ ليستمر الحوار بينه وبين رب العزة ﴿قال هي عصاي أتوكّأ عليها وأهشّ بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى﴾ [طه:١٨]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: رحم الله موسى، إنما كان يكفيه أن يقول عصاً، ولكن ارتاح لخطاب ربه فزاد في الكلام.

والله يسأله عن العصا، لأنها سوف تكون تاريخاً، وسوف تكون درساً للأجيال، وسوف تكون قروناً من العبر.

﴿قال ألقها يا موسى ۝ فألقاها فإذا هي حيةٌ تسعى﴾ [طه:١٩-٢٠]. يا سبحان الله!! إن موسى عليه السلام لا يعرف هذه الخوارق، ولا هذه المفاجآت، إنه يعرف أن السماء هي السماء، لا تتغير ولا تتبدل، ويعرف أن الأرض هي هذه الأرض التي يسير عليها، وأن العصا هي العصا، وأن الحية هي الحية.

اللیل لیلٌ والنهار نهارُ   والأرض فيها الماء والأشجار

*فلم تنقلب العصا إلى حية تسعى؟! ففر موسى خائفاً، وتصور موسى وهو يفر خائفاً من رب العلمين، فيطمئنه به، ويهدئه ﴿قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾ [طه:٢١]. فعاد فأخذها، فإذا هي عصا.

موسى عليه السلام فر خائفاً من عصاه، ومع ذلك أرسله الله عز وجل إلى ذاك الطاغية المجرم، الديكتاتوري السفاك، الذي كان يلقي المحاضرات على العملاء الأغبياء البلداء، ويقول لهم: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ [القصص:٣٨]. فيصفقون له، ويقول لهم: ﴿أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾ [الزخرف:٥١]. فيهزون رؤوسهم طرباً، ويسجدون له تذللاً.

قال بعض المفسرين: كان على قصر فرعون ستة وثلاثون ألفاً من الحرس، كل واحد منهم يرى أن فرعون إلهه، وخالقه، ورازقه، ومحييه، ومميته!!.

ثم قال الله لموسى: ﴿واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ [طه:٢٢].

فهذه آية أخرى من آيات الله عز وجل، أدخل يدك يا موسى في إبطك، ثم أخرجها، تخرج بيضاء من غير برص ولا بهق، وقد ذكر أهل التفسير أن موسى عليه السلام كان بيده برص، فأراد الله أن يعلمه أنه على كل شيء قدير.

﴿آية أخرى ۞لنريك من آياتنا الكبرى﴾ [٢٢-٢٣].

ثم بدأ التكليف بالدعوة، بدأت الرحلة الشاقة المضنية ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ [طه:٢٤]. وتصور موسى عليه السلام وهو يستمع إلى هذا الأمر الإلهي، لقد فرّ موسى من فرعون، لأنه تمرد عليه، وقتل شخصاً من رعيته، وقد حكم عليه فرعون بالإعدام غيابياً، ثم يأتي الأمر الإلهي: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ [طه:٢٤].

لم يقل له اذهب إلى حاشية فرعون، أو جنود فرعون، أو أرسل إليه رسالة، وإنما أمره بالتوجه مباشرة إلى هذا المجرم الطاغية ﴿اذهب إلى فرعون﴾ لماذا؟ ﴿إنه طغى﴾ .

لقد تجاوز الحدّ؛ سفك دماء الأبرياء، قتل الأطفال، نشر الفساد، أرهب العباد، دمر البلاد، داس الأجيال تحت قدميه.

فماذا طلب موسى من ربه؟ وعلى الدعاة أن ينتبهوا إلى هذا الطلب ﴿قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدةً من لساني يفقهوا قولي﴾ [طه:٢٥-٢٨].

فموسى عليه السلام ما كان يبين في حديثه، بل كان يأكل بعض الحروف إذا تكلم، فليس في استطاعته أن يبلغ الدعوة، وسوف يضحك عليه هذا المجرم العُتُل، وقد فعل ذلك بالفعل، حيث عقد مقارنة بينه وبين موسى عليه السلام، وفضل نفسه على نبي من أنبياء الله، ورسول من أولي العزم، قال في سورة الزخرف: ﴿أليس لي ملكُ مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون ۞أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين﴾ [الزخرف:٥١-٥٢]. يقول: إنني أغني منه مالاً، وأعظم منه سلطاناً، وأفصح منه لساناً، فأنا ألقي المحاضرات، وأعقد الندوات، وموسى لا يستطيع ذلك، مع أن هذا بعد أن طلب موسى من ربه أن يحلل عقدة من لسانه، فكيف لو ذهب موسى قبل ذلك؟!

إن موسى عليه السلام ما طلب أن يكون أفصح الخلق، ولا أخطب الناس، وإنما طلب أن يكون كلامه مفهوماً، لتقوم بذلك الحجة على فرعون، وقد قامت، إلا أن هذا هو شأن المفسدين، يتصيدون الأخطاء للدعاة الصادقين، ولا يتورعون عن رميهم بالتهم والافتراءات التي هم منها برآء.

وطلب موسى من ربه أيضاً نصيراً، ومعاوناً له على تلك المواقف الصعبة ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي ۝ هارون أخي﴾ [طه:٢٩-٣٠]. سماه وعينه لربه ليختاره له، وعلل لذلك بقوله: ﴿اشدد به أزري ۝ وأشركه في أمري﴾ [طه:٣١-٣٢]. فإن الواجبات كثيرة، وإن التبعات جسيمة، فأريد أخي ليكون على ميمنتي فيقويني ويثبتني عند ذاك الطاغية الجبار ﴿كي نسبحك كثيراً ۝ ونذكرك كثيراً﴾ [طه:٣٣-٣٤]. فالاثنان يسبحان ويذكران أكثر من الواحد، والأخ الصالح يذكر أخاه إذا نسى، ويقويه إذا فتر. ﴿إنك كنت بنا بصيراً﴾ [طه:٣٥]. فأنت الذي أرسلتنا، وتعلم ضعفنا، فأعنا على تلك المهمة الصعبة، وكن معنا بالتأييد والنصرة.

ثم كان الجواب من الله الواحد الأحد: ﴿قال قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ [طه:٣٦]. ولم يقل سؤالاتك، أو طلباتك، لأن المطالب مهما كثرت، ومهما عظمت فهي هينة في ميزان الله عز وجل: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ [يس:٨٢]. ثم ذكره الله بتاريخه وماضيه، وإنعامه عليه في كل وقت، أعاد عليه ذكريات الطفولة والصبا ﴿ولقد مننّا عليك مرة أخرى ۝ إذا أوحينا إلى أمّك ما يوحى ۝ أن أقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليمّ بالساحل يأخذه عدوّ لي وعدوّ له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني﴾

وهذه الآيات فيها قضايا أربع:

أولها: كأن الله يقول لموسى عليه السلام: لا تخف من فرعون، ولا تتهيب منه، فقد عصمناك منه وأنت طفل رضيع، وقد ربيناك في قصره وفي بلاطه، كنت تضربه على وجهه وأنت طفل صغير، أتخاف منه الآن وأنت في الأربعين، لا تخف منه فإنه أحقر وأهون من أن تخاف منه.

فموسى الذي ربّاه فرعون مؤمنٌ

وموسى الذي ربّاه جبريل كافرُ

موسى الذي تربى في قصر فرعون، هذا القصر الذي فيه الإلحاد والقهر وشرب الخمر وعبودية غير الله، موسى هذا مؤمن ونبي من أنبياء بني إسرائيل.

وهناك موسى آخر، موسى السامري، رباه جبريل على الوحي والتوحيد والنور والعبادة، لكنه خرج كافراً مارداً بعيداً عن الله.

فلا تستغرب أن ترى شاباً من بيت متهتك، بيت منحل، بيت يعادي شرع الله، وهذا الشاب ولي من أولياء الله، كأنه من شباب الصحابة.

ولا تتعجب كذلك إذا أريت شاباً من بيت من بيوت العبودية، بيت ينام على القرآن، ويستيقظ على القرآن، بيت يعظم تعاليم الإسلام، وهذا الشاب ينشأ شيطاناً ضالاً، فهذه حكمة بالغة، وقدرة نافذة.

ثم يستمر القرآن في تعديد نعم الله عز وجل على موسى: ﴿إذ تمشي أختك فتقول هل أدلّكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقرّ عينها ولا تحزن﴾ [طه:٤٠].

لا تظن أننا نسينا النفس التي قتلها، فإن ذلك مكتوب في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ولكننا غفرنا لك وفرّجنا همك ﴿وقتلت نفساً فنجّيناك من الغمّ وفتناك فتوناً فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدرٍ يا موسى ۞واصطنعتك لنفسي﴾ [طه:٤٠-٤١].

هذا تاريخ موسى أمام عينيه، وكأن الله تبارك وتعالى يقول له: هذا تاريخك يا موسى، وتلك هي الأحداث التي مررت بها، كانت عنايتنا معك في كل حدث منها، وكان حفظنا يلاحقك في كل مكان حللت فيه ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي ولاتنيا في ذكري ۞اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ [طه:٤٢-٤٣].

فيصل بنا الخطاب إلى قول الله تعالى: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري﴾ [طه:٤٢]. لقد أجبت سؤالك يا موسى، فجعلت أخاك معك، وجعلته نبياً من الأنبياء المصطفين، ﴿ولا تنيا في ذكري﴾ وهذا على معنيين:

الأول: لا تضعفا في الدعوة، ولا تخافا أحداً مهما بلغ عتوه وجبروته، وابذلوا ما استطعتم في سبيل تبليغ الدعوة إلى الناس.

الثاني: قيل إن قوله تعالى: ﴿ولاتنيا في ذكري﴾ أي لا تفتروا عن ذكري؛ من التسبيح، والتهليل، والتكبير، والتحميد، لأن موسى عندما طلب أخاه وزيراً معه قال: ﴿كي نسبحك كثيراً ۝ ونذكرك كثيراً﴾ [طه:٣٣-٣٤]. فلا ينبغي أن تنسى يا موسى ما قطعته على نفسك من كثرة التسبيح والذكر.

فزاد الروح أرواح المعاني
وليس بأن طعمت ولا شربت
فأكثر ذكره في الأرض دأباً
لتذكر في السماء إذا ذكرت
وناد إذا سجدت له اعترافاً
بما ناداه ذو النون بن متّى

فزاد القلوب هو التسبيح والتكبير، وزاد الأرواح هو التحميد التهليل، فالله يقول لموسى وهارون: أكثرا من الذكر، فإنكما ستمران بمواقف صعبة، وتكاليف ضخمة، لا تستطيعان خوض غمارها إلا بأن تكونا على قرب مني، وأن تكونا دائماً في ذكر وثناء وافتقار لجلالي ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ [طه:٤٣].

عاد الخطاب كما كان أول السورة، في أول السورة قال الله لموسى: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ [طه:٢٤]. وهنا يقول لموسى وهارون: ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ [طه:٤٣]. اذهبا إليه، واعلما بأنه طاغية جبار، ولكن كيف يخاطب موسى وهارون هذا الجبار؟ ما الوسيلة التي يستخدمها موسى في عرض الدعوة عليه؟

فيبين الله أن الوسيلة الناجحة في مخاطبة هؤلاء الجبابرة، هي اللين، وعدم العنت، وذلك بأن تعرض عليه الدعوة بأسلوب هيّن وليّن حسن، فلعل الله أن يهديه، ولعل الله أن يشرح صدره، فلا ينبغي أن نحكم على الناس، بأن الله ختم ﴿على قلوبهم، فلا يهتدون، ﴿ يعقلون، ولا يفهمون، قال تعالى: اذهب﴾إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى [طه:٤٣-٤٤].

ما أحسن هذا الكلام، وما أعجب هذا الخطاب، يقول عن فرعون: إنه طاغية، جبار، سفاك للدماء، ملحد، عنيد، ومع ذلك، يأمر أنبياءه باللين معه، وعدم تعنيفه وتوبيخه، لعله يستحسن الخطاب، فيستجيب إلى الحق. قال ابن عباس في قوله تعال: ﴿ فقولا له قولاً ليناً﴾، قال: يُمنّياه بالملك.

فلما دخل عليه موسى قال له: إذا أجبتنا، أبقى الله عليك ملكك، ومكنك أكثر من ذلك ﴿فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى ﴾ لعله يتذكر نعم الله عليه، وتمكينه إياه، فبعض الناس لا يأتي إلا من باب الرغبة، وبعضهم لا يستجيب إلا بالترهيب، والداعية لابد أن يكون بصيراً بالقلوب، عالماً بطبائع النفوس، حتى يدخل على كل إنسان من الباب الذي ترجى إجابته منه.

فقال موسى وهارون: ﴿ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى﴾ [طه:٤٥]. والله يعلم أنه يطغى، والله يعلم أنه جبار، ﴿قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾ [طه:٤٦]. وإذا كان الله معك فلماذا تخاف؟ وإذا كان الله ناصرك فممن تخشى ؟ فانطلقا بهذا المبدأ، لا تخافا أحداً، مادام الله معكما، وناصركما، ويؤيدكما.

وموسى عليه السلام خاف ثلاث مرات؛ مرة لما رأى العصا وقد انقلبت حية، فقال الله له: ﴿خذها ولا تخاف﴾ [طه:٢١]. وهذه المرة، حين دخل البلاط الفرعوني ﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى﴾ [طه:٤٦]. ومرة ثالثة، يوم أن نازل فرعون في الميدان أمام الجماهير ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ [طه:٦٧-٦٨]. ﴿قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى ۝ فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذّبهم قد جئناك بآيةٍ من ربك والسلام على من اتبع الهدى﴾ [طه:٤٦-٤٧].

دخل موسى عليه، ووقف هارون بجانبه، موسى يتكلم، وهارون يثبت ويساعد، والمجرم ينظر إليهما بعلوّ وعتو وجبروت، لأنه صور نفسه أنه رب، وأنه صانعٌ، أنكر توحيد الربوبية، وادعى ذلك لنفسه؛ كبراً، وعتواً، وإن كان في الباطن يوقن بربوبية الله للكون،

كما قال له موسى عليه السلام : ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنّك يا فرعون مثبوراً﴾ [الإسراء:١٠٢]. فلما تكلم موسى، ودعاه إلى الله عز وجل، ضحك فرعون منهما، ضحك استهزاء واستهتاراً؛ لأنه مستخف بالقيم، يدوس التاريخ بقدميه، يجعل المروءات خلف ظهره، لا يقيم للمثل وزناً ولا قيمة.

أخذ ينظر إلى موسى على أنه راعي غنم، يحمل عصاه على كتفه، وأنه أتى من الصحراء، حيث لا حضارة ولا تقدم، ثم ينظر إلى نفسه فيرى الدنيا تحت قدميه، فيزداد كبراً وصلفاً.

وهكذا يفعل الطغاة، يوم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يوم لا يصلون ولا يخافون من الواحد الأحد، هكذا يفعل كل فرعون إلى أن تقوم الساعة.

فانبرى الخسيس من على كرسيه وسأل موسى سؤالاً تافهاً حقيراً مثله ﴿فمن ربكما يا موسى﴾ [طه:٤٩]. فهو لا يعرف رباً ولا يؤمن بإله، فماذا كان جواب موسى: ﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ [طه:٥٠]. فإن كنت تستطيع ذلك فأنت رب، وإن كنت لا تستطيع فلست برب، وأنى لك ذلك!!

قال الزمخشري: لله درّه من جواب؟

وقال أحدهم: والله لقد تناوله موسى بكفّ على وجهه، وتحت كلمة ((خلقه)) مجلدات من العبر، وتحت كلمة ((هدى)) مجلدات من الصور. هدى كل شيء هدى الطفل يوم أن وضعته أمه، لا يعرف شيئاً، ولا يبصر شيئاً، فهداه إلى ثدي أمه ليجر منه اللبن.

وهدى النحلة أن تطير آلاف الأميال، لتأخذ رحيق، وتعود مرة ثانية إلى خليتها.

وهدى الحمام الزاجل، يوم ينقل الرسائل، من مكان إلى مكان، ومن بلد إلى بلد، ثم يعود إلى مكانه لا يضل ولا يضيع.

يقول العالم الأمريكي: ((كيرسي ميرسون)) في كتاب ((الإنسان لا يقوم وحده)): إنني أتعجب من النحل، وأقول: لعل النحلة معها جهاز (إريال) تكتشف به خليتها!! فيرد عليه سيد قطب في سورة (سبح) قائلاً: لا، ليس معها جهاز، ولكن الله عز وجل يقول: ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ۝ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً ﴾ [النحل:٦٨-٦٩]. إنه الله ﴿الذي أعطى كل شيء خلقه ثم

هدى﴾ [طه:٥٠]. فهزم فرعون وبهت، وظهر فشله وعجزه، ولكنه أتى بسؤال آخر كالذي قبله أو أتفه منه ﴿قال فما بالُ القرون الأولى﴾ [طه:٥١]. أين ذهب أجدادنا وآباؤنا؟! ﴿قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ [طه:٥٢]. ما شأنك أنت بهذا؟ ما أهمية هذه المسألة عندك؟ أنت ذرة من الذرات، أنت حشرة من الحشرات؟

أنت لا تعرف من أنت ولا

أنت لا تدري بماذا قد تئول

أنت مخلوقٌ حقيـر بائس

أنت لا تدري إلى أين الرحيل

﴿قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ [طه:٥٢]. فهزمه موسى مرة ثانية، وانتصر عليه، وفضحه أمام الجماهير، وبين عجزه أمام الأجيال.

وبقي موسى إلى قيام الساعة يذكر في مواكب الأنبياء المخلصين، وفي مواكب الدعاة الخالدين.

في هذه القصة دروس وعبر:

أولها: الاعتصام بلا إله إلا الله، فهذه الكلمة من أجلها أنزلت الكتب، وأرسلت الرسل، وخلقت السموات والأرض، وأقيمت المعالم، وبذلت الأموال، وشهرت السيوف.

فلابد أن نعتصم بهذه الكلمة، ولابد أن نفتخر بهذه الكلمة، ولابد أن تسيطر على حياة كل واحد منا؛ على الأمير، على الوزير، على القاضي، على المسؤول، على الصحفي حين يكتب، على الشاعر حين ينظم، على الأديب حين يبدع.

ثانياً: قضية الصلاة، فالدين يقوم على الصلاة، فلا دين بغير صلاة، ولا صلاة بغير دين.

ثالثاً: قضية الإيمان باليوم الآخر، فإذا لم نجعل هذه القضية أمامنا، وفي أذهاننا، فلا سلام، ، ولا أمن، ولا استقرار، ولا طمأنينة، لأن الذين نسوا اليوم الآخر تقاتلوا، وتحاسدوا، ودمر بعضهم مدن بعض، وأطلقوا صواريخهم، وقتلوا الآمنين، كل ذلك لأنهم لا يؤمنون باليوم الآخر.

رابعاً: قضية النّصرة، ينبغي أن نؤمن أن الله عز وجل ينصر أولياءه، ويدافع عن أحبابه، ولو ظهروا على الساحة أنهم هم المهزومون، هم القليلون، هم المضطهدون، فالعاقبة لهم، والنصر حليفهم.

﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ [غافر:٥١].

خامساً: قضية الشكر، فالله عز وجل يطلب من العبد أن يتذكر المعروف، وأن يشكر النعم، وأن يشكر النعم وأن يحفظ الأيادي.

سادساً: على الداعية أن يعرف مداخل القلوب، وألا يكون عنيفاً في أسلوبه، مجرحاً للشعور ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [آل عمران:١٥٩].

دخل أحد الأعراب على هارون الرشيد، الخليفة العباسي الكبير، فقال الأعرابي: يا هارون، قال: نعم، قال: إن عندي كلاماً شديداً قاسياً فاستمع له: قال هارون: والله لا أسمع، والله لا أسمع، والله لا أسمع، قال: ولم؟ قال: لأن الله أرسل من هو خيرٌ منك، إلى من هو شر مني، ثم قال له: ﴿فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى

﴾ [طه:٤٤]. فاللين في الدعوة مطلوب، وأدب الحوار مطلوب، وإنزال الناس منازلهم مطلوب، ومراعاة شعور الآخرين مطلوبة.

سابعاً: لا خوف على المسلم، فإن النفوس بيد الله، والأرزاق في خزائن الله، فهو الذي يحيي ويميت، ويغني ويعدم، وينفع ويضر، بيده مقاليد كل شيء لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

هذه بعض دروس قصة موسى عليه السلام وأغلبية سور القرآن، تحلق بنا دائماً مع موسى عليه السلام فقصته طويلة، وأحداثها متعددة، فيها العبرة، وفيها العظة، وفيها السلوى، وفيها الثبات على المبدأ، فسلام الله على موسى في الأولين، وسلام على موسى في الآخرين، وشكر الله سعيه.

❁❁ ﷻ أما فرعون وأتباعه فـ ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ [غافر:٤٦].

نجد صيحة تقول
التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام

سؤال : فضيلة الشيخ لا شك أنكم تعلمون بأن واقع الأمة الديني واقع مرير من حيث الجهل بالعقيدة ، ومسائل الاعتقاد ، ومن حيث الافتراق في المناهج وإهمال نشر الدعوة الإسلامية في أكثر بقاع الأرض طبقاً للعقيدة الأولى والمنهج الأول الذي صلحت به الأمة ، وهذا الواقع الأليم لا شك بأنه قد ولد غيرة عند المخلصين ورغبة في تغييره وإصلاح الخلل ، إلا أنهم اختلفوا في طريقتهم في إصلاح هذا الواقع ؛ لاختلاف مشاربهم العقدية والمنهجية - كما تعلم ذلك فضيلتكم - من خلال تعدد الحركات والجماعات الإسلامية الحزبية والتي ادعت إصلاح الأمة الإسلامية عشرات السنين ، ومع ذلك لم يكتب لها النجاح والفلاح ، بل تسببت تلك الحركات للأمة في إحداث الفتن ونزول النكبات والمصائب العظيمة ، بسبب مناهجها وعقائدها المخالفة لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به ؛ مما ترك الأثر الكبير في الحيرة عند المسلمين - وخصوصاً الشباب منهم - في كيفية معالجة هذا الواقع ، وقد يشعر الداعية المسلم المتمسك بمنهاج النبوة المتبع لسبيل المؤمنين ، المتمثل في فهم الصحابة والتابعين لهم بإحسان من علماء الإسلام ؛ قد يشعر بأنه حمل أمانة عظيمة تجاه هذا الواقع وإصلاحه أو المشاركة في علاجه .

فما هي نصيحتكم لأتباع تلك الحركات أو الجماعات ؟
وما هي الطرق النافعة الناجعة في معالجة هذا الواقع ؟
وكيف تبرأ ذمة المسلم عند الله عز وجل يوم القيامة ؟

الجواب للشيخ العلامة ناصر الدين الألباني
رحمه الله



يجب العناية والاهتمام بالتوحيد أولاً كما هو منهج الأنبياء والرسل عليهم السلام :

بالإضافة لما ورد في السؤال - السابق ذكره آنفاً - من سوء واقع المسلمين ، نقول :إن هذا الواقع الأليم ليس شراً مما كان عليه واقع العرب في الجاهلية حينما بعث إليهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؛لوجود الرسالة بيننا ، وكمالها ، ووجود الطائفة الظاهرة على الحق ، والتي تهدي به ، وتدعو الناس للإسلام الصحيح :عقيدة ، وعبادة ، وسلوكاً ، ومنهجاً ، ولا شك بأن واقع أولئك العرب في عصر الجاهلية مماثل لما عليه كثير من طوائف المسلمين اليوم !.

بناء على ذلك نقول : العلاج هو ذاك العلاج ،والدواء هو ذاك الدواء ، فبمثل ما عالج النبي ﷺ تلك الجاهلية الأولى ، فعلى الدعاة الإسلاميين اليوم - جميعهم - أن يعالجوا سوء الفهم لمعنى " لا إله إلا الله " ، ويعالجوا واقعهم الأليم بذاك العلاج والدواء نفسه . ومعنى هذا واضح جداً ؛ إذا تدبرنا قول

الله عز وجل { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً} (الأحزاب:٢١)

فرسولنا ﷺ هو الأسوة الحسنة في معالجة مشاكل المسلمين في عالمنا المعاصر وفي كل وقت وحين ، ويقتضي ذلك منا أن نبدأ بما بدأ به نبينا ﷺ وهو إصلاح ما فسد من عقائد المسلمين أولاً ، ومن عبادتهم ثانياً ، ومن سلوكهم ثالثاً .ولست أعني من هذا الترتيب فصل الأمر الأول بدءاً بالأهم ثم المهم ، ثم ما دونه ! وإنما أريد أن يهتم بذلك المسلمون اهتماما شديداً كبيراً ، وأعني بالمسلمين بطبيعة الأمر الدعاة ، ولعل الأصح أن نقول : العلماء منهم ؛لأن الدعاة اليوم - مع الأسف الشديد - يدخل فيهم كل مسلم ولو كان على فقر مدقع من العلم ، فصاروا يعدون أنفسهم دعاة إلى الإسلام ، وإذا تذكرنا تلك القاعدة المعروفة - لا أقول : عند العلماء فقط بل عند العقلاء جميعاً - تلك القاعدة التي تقول : "فاقد الشيء لا يعطيه " / فإننا نعلم اليوم بأن هناك طائفة كبيرة جداً يعدون بالملايين من المسلمين تنصرف الأنظار إليهم حين يطلق لفظة : الدعاة . وأعني بهم :جماعة الدعوة ، أو : جماعة التبليغ " ومع ذلك فأكثرهم كما قال الله عز وجل : { وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ }(لأعراف: من الآية١٨٧) .

ومعلوم من طريقة دعوتهم أنهم قد أعرضــوا بالكلية عن الاهتمام بالأصل الأول - أو بالأمر الأهم - من الأمور التي ذكرت آنفاً ، وأعني : العقيدة والعبادة والسلوك ، وأعرضوا عن الإصلاح الـذي بدأ به الرســول ﷺ بل بدأ به كل الأنبياء ، وقد بينه الله تعـالى بقولـه :ل{ وَلَقَـدْ بَعَثْنَـا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُــولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّـاغُوتَ }(النحـل: من الآيـة٣٦) . فهم لا يعنون بهذا الأصـل الأصـيل والركن الأول من أركان الإسـلام - كما هو معلوم لدى المســلمين جميعاً - هذا الأصـــل الذي قام يدعو إليه أول رسول من الرسل الكرام ألا وهو نوح صلى الله عليه وسلم قرابة ألف سـنة ، والجميع يعلم أن الشرـائع السـابقة لم يكن فيها من التفصـــيـل لأحكام العبادات والمعاملات ما هو معروف في ديننا هـذا لأنه الدين الخاتم للشرـائع والأديان ، ومع ذلك فقد لبث نوح في قومه ألف ســنة إلا خمســين عاماً يصرـف وقته وجل اهتمامـه للدعوة إلى التوحيد ، ومع ذلك أعرض قومه عن دعوته كما بين الله - عز وجل - ذلك في محكم التنزيل {وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَـذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُــوَاعـاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرـاً } (نوح:٢٣) .

فهـذا يـدل دلالـة قـاطعـة على أن أهم شيء ينبغي على الـدعـاة إلى " الإســـلام الحق" الاهتمام بـه دائمـاً هو الدعوة إلى التوحيـد وهو معنى قولـه - تبارك وتعالى- :{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ }(محمد: من الآية١٩) .

هكذا كانت سنة النبي ﷺ عملاً وتعليماً .

أمـا فعلـه : فلا يحتـاج إلى بحث ، لأن النبي ﷺ في العهد المكي إنما كان فعله ودعوته محصـــورة في الغالب في دعوة قومه إلى عبادة الله لا شريك له .

أمـا تعليماً : ففي حـديـث أنس بن مـالـك رضي الله عنه الوارد في الصـحيحين أن النبي ﷺ عندما أرسل معاذاً إلى اليمن قال له : " ليكن أول ما تدعوهم إليه : شـــهادة أن لا إله إلا الله ، فإن هم أطـاعوك لذلك ....."[١] .إلخ الحديث .وهو معلوم ومشـــهور إن شاء الله تعالى .

---

[1] حـديـث صـــحيح : رواه البخـاري (١٣٩٥) وفي غير موضـــع ، ومســـلم (١٩) ، وأبو داود(١٥٨٤) ، والترمذي (٦٢٥) ، كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

إذاً ، قد أمر النبي ﷺ أصـحابه أن يبدؤوا بما بدأ به وهو الدعوة إلى التوحيد ، ولا شـك أن هناك فرقاً كبيراً جداً بين أولئك العرب المشركين - من حيث إنهم كانوا يفهمون ما يقال لهم بلغتهم - ، وبين أغلب العرب المسلمين اليوم الذين ليسوا بحاجة أن يدعوا إلى أن يقولوا : لا إله إلا الله ؛ لأنهم قائلون بها على اختلاف مذاهبهم وطرائقهم وعقائدهم ، فكلهم يقولون : لا إله إلا الله ، لكنهم في الواقع بحاجة أن يفهموا - أكثر - معنى هذه الكلمة الطيبة ، وهذا الفرق فرق جوهري - جداً - بين العرب الأولين الذين كانوا إذا دعاهم رسـول الله ﷺ أن يقولوا : لا إله إلا الله يستكبرون ، كما هو مبين في صريح القرآن العظيم [٢] لماذا يستكبرون ؟ ؛ لأنهم يفهمون أن معنى هذه الكلمة أن لا يتخذوا مع الله أنداداً وألا يعبدوا إلا الله ، وهم كانوا يعبدون غيره ، فهم ينادون غير الله ويستغيثون بغير الله ؛ فضلاً عن النذر لغير الله ، والتوسل بغير الله ، والذبح لغيره والتحاكم لسواه ....إلخ.

هذه الوسائل الشركية الوثنية المعروفة التي كانوا يفعلونها ، ومع ذلك كانوا يعلمون أن من لوازم هذه الكلمة الطيبة -

---

[2] يشـير إلى قوله تعالى في سـورة الصـافات:{)إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ . وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ) (الصافات:٣٥-٣٦)

لا إله إلا الله – من حيث اللغة العربية أن يتبرؤوا من كل هذه الأمور ؛ لمنافاتها لمعنى " لا إله إلا الله ".

غالب المسلمين اليوم لا يفقهون معنى لا إله إلا الله فهماً جيداً :

أما غالب المسلمين اليوم الذين يشهدون بأن " لا إله إلا الله " فهم لا يفقهون معناها جيداً ، بل لعلهم يفهمون معناها فهماً معكوساً ومقلوباً تماماً ؛ أضرب لذلك مثلاً : بعضهم [1] ألف رسالة في معنى " لا إله إلا الله " ففسرها :" لا رب إلا الله!! " وهذا المعنى هو الذي كان المشركون يؤمنون به وكانوا عليه ، ومع ذلك لم ينفعهم إيمانهم هذا ، قال تعالى:{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّه}(لقمان: من الآية٢٥).

فالمشركون كانوا يؤمنون بأن لهذا الكون خالقاً لا شريك له ،ولكنهم كانوا يجعلون مع الله أنداداً وشركاء في عبادته ، فهم يؤمنون بأن الرب واحد ولكن يعتقدون بأن المعبودات كثيرة ، ولذلك رد الله تعالى – هذا الاعتقاد – الذي سماه عبادة لغيره

[1] هو الشيخ محمد الهاشمي ، أحد شيوخ الصوفية " الطريقة الشاذلية " في سوريا من نحو ٥٠ سنة .

من دونـه بقولـه تعـالى :{....وَالَّـذِينَ اتَّخَـذُوا مِنْ دُونِـهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى....}(الزمر: من الآية٣).

لقد كان المشركون يعلمون أن قول : " لا إله إلا الله " يلزم لـه التبرؤ من عبادة ما دون الله عز وجل ، أما غالب المســـلمين اليوم ؛ فقد فسروا هذه الكلمة الطيبة " لا إله إلا الله " بـ : " لا رب إلا الله !! " فإذا قال المسلم : لا إله إلا الله " ، وعبد مع الله غيره ؛ فهو المشركون سـواء ، عقيدة ، وإن كان ظاهره الإسـلام ؛ لأنـه يقول لفظة :لا إله إلا الله فهو بهذه العبارة مســـلم لفظياً ظـاهراً ، وهـذا مما يوجـب علينـا جميعـاً - بصــفتنـا دعـاة إلى الإسلام- الدعوة إلى التوحيد وإقامة الحجة على من جهل معنى" لا إله إلا الله " وهو واقع في خلافها ؛ بخلاف المشرـك ؛ لأنه يأبى أن يقول :" لا إله إلا الله " فهو ليس مســـلماً لا ظاهراً ولا باطناً فأما جماهير المسلمين اليوم هم مسلمون لأن الرسول ﷺ قال :" فإذا قالوها عصـموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسـابهم على الله تعالى "[٢].

---

[2] حديث صـحيح : رواه البخاري (٢٥) وفي غير موضـع ، ومسـلم (٢٢) ، وغيرهم ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

لـذلـك ، فـإني أقول كلمة - وهي نادرة الصـــدور مني - ، وهي :إن واقع كثير من المســـلمين اليوم شر مما كان عليه عامة العرب في الجـاهليـة الأولى من حيـث ســـوء الفهم لمعنى هـذه الكلمة الطيبة ؛ لأن المشر ـكين العرب كانوا يفهمون ، ولكنهم لا يؤمنون ، أما غالب المسلمين اليوم ، فإنهم يقولون ما لا يعتقدون ، يقولون : لا إلـه إلا الله ، ولا يؤمنون -حقاً - بمعناها [1]، لذلك فأنا أعتقد أن أول واجب على الدعاة المســـلمين - حقاً - هو أن يـدنـدنوا حول هـذه الكلمـة وحول بيـان معنـاهـا بتلخيص ، ثم بتفصـــيـل لوازم هـذه الكلمـة الطيبة بالإخلاص لله عز وجل في العبادات بكل أنواعها ، لأن الله عز وجل لما حكى عن المشر ـكين قولـه : { ... مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى... }(الزمر: من الآيـة٣)، جعل كل عبادة توجه لغير الله كفراً بالكلمة الطيبة : لا إلـه إلا اللـه ؛ لهـذا ؛ أنـا أقول اليوم : لا فائدة مطلقاً من تكتيل المســلمين ومن تجميعهم ، ثم تركهم في ضـلالهم دون فهم هذه الكلمـة الطيبـة ، وهـذا لا يفيـدهم في الـدنيا قبل الآخرة ! نحن نعلم قول النبي ﷺ :" من مـات وهو يشــــهـد أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه حرم الله بدنه على النار " وفي رواية أخري :"

(١) يعبـدون القبور ، ويـذبحون لغير اللـه ، ويـدعون الأموات ، وهـذا واقع وحقيقـة مـا تعتقده الرافضـة ،و الصـوفية ، وأصـحاب الطرق ، فالحج إلى القبور وبناء المشاهد الشركية والطواف عليها والاستغاثة بالصالحين والحلف بهم عقائد ثابتة عندهم .

دخل الجنة "[٢] . فيمكن ضـــمان دخول الجنة لمن قالها مخلصـــاً حتى لو كـان بعـد لأي وعـذاب يمس القـائل ، والمعتقد الاعتقاد الصـــحيح لهـذه الكلمـة ، فـإنـه قـد يعـذب بناءً على ما ارتكب واجترح من المعاصي والآثام ، ولكن ســـيكون مصـــيره في النهاية دخول الجنـة ، و على العكس من ذلـك ؛ من قـال هـذه الكلمـة الطيبة بلسانه ، ولما يدخل الإيمان إلى قلبه ؛ فذلك لا يفيده شيئاً في الآخرة ، قـد يفيـده في الـدنيا النجاة من القتال ومن القتل إذا كان للمسلمين قوة وسلطان ، وأما في الآخرة فلا يفيد شيئاً إلا إذا كـان قائلاً لها وهو فاهم معناها أولاً ، ومعتقداً لهذا المعنى ثانياً ؛ لأن الفهم وحـده لا يكفي إلا إذا اقترن مع الفهم الإيمـان بهـذا المفهوم ، وهذه النقطة ؛ أظن أن أكثر الناس عنها غافلون ! وهي : لا يلزم من الفهم الإيمان بل لا بد أن يقترن كل من الأمرين مع الآخر حتى يكون مؤمنـاً ، ذلـك لأن كثيراً من أهـل الكتـاب من اليهود والنصـارى كانوا يعرفون أن محمداً صـلى الله عليه وسلم رسـول صـادق فيما يدعيه من الرسـالة والنبوة ، ولكن مع هذه المعرفة التي شهد لهم بها ربنا عز وجل حين قال:{...يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَـاءَهُمْ....} (البقرة: من الآية١٤٦). ومع ذلك هذه المعرفة ما أغنت عنهم من الله شيئاً لماذا ؟ لأنهم لم يصدقوه فيما يدعيه

(٢) حديث صـــحيح : رواه أحمد (٢٣٦/٥)، وابن حبان (٤)زوائد ، وصـــححه الألباني في الصحيحة(٣٣٥٥) .

من النبوة والرسالة ، ولذلك فإن الإيمان تسبقه المعرفة ولا تكفي وحـدهـا ، بـل لا بـد أن يقترن مع المعرفة الإيمان والإذعان ، لأن المولى عز وجل يقول في محكم التنزيل : {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ......}.

وعلى هذا ، فإذا قال المسلم : لا إله إلا الله بلسانه ؛ فعليه أن يضـم إلى ذلك معرفة هذه الكلمة بإيجاز ثم بالتفصيل ، فإذا عرف وصـدق وآمن ؛ فهو الذي يصدق عليه تلك الأحاديث التي ذكرت بعضـها آنفاً ، ومنها قوله ﷺ مشـيراً إلى شيء من التفصيل الـذي ذكرتـه آنفـاً : " من قـال : لا إلـه إلا الله ، نفعته يوماً من دهره "[١].

أي كانت هذه الكلمة الطيبة بعد معرفة معناها منجية له من الخلود في النار - وهذا اكرره لكي يرسخ في الأذهان - وقد لا يكون قد قام بمقتضـــاها من كمال العمل الصـــالح والانتهاء عن المعاصي ولكنه سـلم من الشرك الأكبر وقام بما يقتضيه ويستلزمه شروط الإيمـان من الأعمال القلبية - والظاهرية حســـب اجتهاد بعض أهل العلم وفيه تفصيل ليس هذا محل بسطه -[٢]؛ وهو

---

[1] حديث صحيح : صححه لألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٣٢)وعزاه لأبي سعيد الأعرابي في معجمه وأبي نعيم في الحلية (٤٦/٥)، والطبراني في الأوسط (٦٥٣٣)، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[2] هذه عقيدة السلف الصالح ، وهي الحد الفاصل بيننا وبين الخوارج والمرجئة .

تحـت المشــيئـة ، وقـد يـدخل النار جزاء ما ارتكب أو فعل من المعاصي أو أخل ببعض الواجبات ، ثم تنجيه هذه الكلمة الطيبة أو يعف اللـه عنـه بفضــل منـه وكرمـه ، وهـذا معنى قوله ﷺ المتقـدم ذكره : " من قال : لا إله إلا الله ، نفعته يوماً من دهره "، أما من قالها بلســانه ولم يفقه معناها ، أو فقه معناها ولكنه لم يؤمن بهذا المعنى ؛ فهذا لا ينفعه قوله : لا إله إلا الله ، إلا في العاجلة إذا كان يعيش في ظل الحكم الإسلامي وليس في الآجلة .

لـذلـك لا بـد من التركيز على الـدعوة إلى التوحيـد في كـل مجتمع أو تكتل إسـلامي يسـعى- حقيقة وحثيثاً - إلى ما تدندن بـه كـل الجماعـات الإســلاميـة أو جلهـا ، وهو تحقيق المجتمع الإسلامي وإقامة الدولة المسلمة التي تحكم بما أنزل الله على أي أرض لا تحكم بما أنزل الله ، هذه الجماعات أو هذه الطوائف لا يمكنهـا أن تحقق هـذه الغاية - التي أجمعوا على تحقيقها وعلى الســعي- حثيثـاً إلى جعلها حقيقة واقعية - إلا بالبدء بما بدأ به الرسول ﷺ .

وجوب الاهتمام بالعقيدة لا يعنى إهمال باقي الشرع من عبادات وسلوك ومعاملات وأخلاق :

وأعيـد التنبيـه بـأنني لا أعنى الكلام في بيان الأهم فالمهم وما دونـه على أن يقتصرــ الـدعـاة فقط على الـدعوة إلى هذه الكلمـة الطيبـة وفهم معنـاهـا ، بعـد أن أتم الله عز وجل علينا النعمة بإكماله لدينه ! بل لا بد لهؤلاء الدعاة أن يحملوا الإسـلام كُلاً لا يتجزأ ، وأنا حين أقول هذا- بعد ذلك البيان الذي خلاصـته : أن يهتم الدعاة الإسـلاميون حقاً بأهم ما جاء به الإسلام ، وهو تفهيم المسـلمين العقيدة الصحيحة النابعة من الكلمة الطيبة "لا إله إلا الله "، أريد أن اسـترعي النظر إلى هذا البيان لا يعني أن يفهم المســلم فقط أن معنى :" لا إلـه إلا الله " ، هو لا معبود بحق في الوجود إلا الله فقط ! بل هذه يسـتلزم أيضـاً أن يفهم العبـادات التي ينبغي أن يعبـد ربنـا- عز وجل - بها ، ولا يوجه شيء منها لعبد من عباد الله تبارك وتعالى ، فهذا التفصـيل لا بد أن يقترن بيانه أيضاً بذلك المعنى الموجز للكلمة الطيبة ، ويحسن أن أضرب مثلاً - أو أكثر من مثل ، حسـبما يبدو لي - لأن البيان الإجمالي لا يكفي .

أقول : إن كثيراً من المســلمين الموحـدين حقـاً والـذين لا يوجهون عبادة من العبادات إلى غير الله عز وجل ، ذهنهم خال من كثير من الأفكـار والعقـائـد الصـحيحـة التي جـاء ذكرها في الكتاب والسـنة ، فكثير من هؤلاء الموحدين يمرون على كثير من الآيات وبعض الأحاديث التي تتضـمن عقيدة وهم غير منتبهين إلى ما تضمنته ، مع أنها من تمام الإيمان بالله عز وجل ، خذوا

مثلاً عقيـدة الإيمان بعلو الله عز وجل ، على ما خلقه ، أنا أعرف بالتجربة أن كثيراً من إخواننا الموحدين الســلفيين يعتقدون معنا بأن الله عز وجل على العرش استوى دون تأويل ، ودون تكييف ، ولكنهم حين يأتيهم معتزليون عصريون ،أو جهميون عصريون ، أو ماتريدي أو أشـعري ويلقي إليه شبهة قائمة على ظاهر آية لا يفهم معناها الموسـوس ولا الموسـوس إليه ، فيحار في عقيدته ، ويضل عنها بعيداً ، لماذا؟ لأنه لم يتلق العقيدة الصحيحة من كل الجوانـب التي تعرض لبيـانهـا كتـاب ربنـا -عز وجـل - وحديث نبينا محمد ﷺ ، فحينما يقول المعتزلي المعاصر : الله - عز وجل - يقول : { أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّـمَاءِ ....} (الملك:الآيتان ١٥-١٦). و أنتم تقولون : إن الله في السـماء ، وهذا معناه أنكم جعلتم معبودكم في ظرف هو السماء المخلوقة!! فإنه يلقى شبهة على من أمامه .

بيان عدم وضوح العقيدة الصحيحة ولوازمها في أذهان الكثيرين :

أريد من هذا المثال أن أبين أن عقيدة التوحيد بكل لوازمها ومتطلباتها ليسـت واضـحة - للأسـف في أذهان كثير ممن آمنوا بالعقيدة الســلفية نفســها ، فضــلاً عن الآخرين الذين اتبعوا العقائد الأشعرية أو الماتريدية أو الجهمية في مثل هذه المسألة ، فأنا أرمي بهذا المثال إلى أن المســألة ليســت بهذا اليسرـ الذي يصوره اليوم بعض الدعاة الذين يلتقون معنا في الدعوة إلى

الكتاب والسـنة إن الأمر ليس بالسـهولة التي يدعيها بعضـهم ، والسـبب ما سـبق بيانه من الفرق بين جاهلية المشركين الأولين حينما كـانوا يـدعون ليقولوا : لا إلـه إلا اللـه فيـأبون ؛ لأنهم يفهمون معنى هـذه الكلمـة الطيبـة ، وبين أكثر المسـلمين المعاصرين اليوم حينما يقولون هذه الكلمة ؛ ولكنهم لا يفهمون معناها الصـحيح ، هذا الفرق الجوهري هو الآن متحقق في مثل هذه العقيدة ، وأعني بها علو الله عز وجل على مخلوقاته كلها ، فهذا يحتاج إلى بيان ، ولا يكفي أن يعتقد المسـلم{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طـه:٥) "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السـماء "[١].دون أن يعرف أن كلمـة "في " التي وردت في هـذا الحـديـث ليسـت ظرفية ، وهي مثل "في " التي وردت في قوله تعالى : { أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ....} (الملك:الآيتان ١٥-١٦). ؛ لأن " في " هنـا بمعنى " على " والـدليـل على ذلـك كثير وكثير جـداً ؛ فمن ذلك : الحديث السـابق المتداول بين ألسـنة الناس ، وهو مجموع طرقـه -والحمـد للـه - صـحيح ، ومعنى قولـه ﷺ :" ارحموا من في الأرض " لا يعني الحشرات والديدان التي هي في داخل الأرض ! وإنما من على الأرض ؛ من إنسـان وحيوان ، وهذا مطابق لقوله ﷺ :" ...يرحمكم من في السماء " ، أي : على

---

[١] حـديـث صـحيح : رواه أبو داود (٤٩٤١)، والترمـذي(١٩٢٥) ، وصـححـه الألباني في الصحيحه (٩٢٥) .

السـماء ، فمثل هذا التفصـيل لا بد للمستجيبين لدعوة الحق أن يكونوا على بينـة منه ، ويقرب هذا : حديث الجارية وهي راعية غنم ، وهو مشـــهور معروف ، وإنما أذكر الشـــاهد منه ؛ حينما سـألها رسـول الله صلى الله عليه وسلم :" أين الله ؟" قالت له : في السـماء"[1] . لو سـألت اليوم كبار شـيوخ الأزهر - مثلاً - أين اللـه ؟ لقـالوا لـك : في كـل مكـان ! بينما الجـارية أجابت بأنه في السـماء ، وأقرها النبي ﷺ ، لماذا ؟ ؛ لأنها أجابت على الفطرة ، وكانت تعيش بما يمكن أن نسميه بتعبيرنا العصري (بيئة سلفية) لم تتلوث بـأي بيئـة سـيئة - بالتعبير العام -؛ لأنها تخرجت كما يقولون اليوم - من مدرسـة الرسول ﷺ - هذه المدرسة لم تكن خاصـة ببعض الرجال ولا ببعض النسـاء ، وإنما كانت مشاعة بين النـاس وتضـــم الرجال والنســـاء وتعم المجتمع بأكمله ، ولذلك عرفـت راعيـة الغنم العقيـدة لأنهـا لم تتلوث بأي بيئة ســيئة ؛ عرفت العقيدة الصـحيحة التي جاءت في الكتاب والســنة وهو مالم يعرفه كثير ممن يدعي العلم بالكتاب والســنة ، فلا يعرف أين ربـه! مع أنـه مـذكور في الكتاب والســـنة ، واليوم أقول : لا يوجد شيء من هذا البيان وهذا الوضـوح بين المسلمين بحيث لو سألت -لا أقول : راعية غنم - بل راعي أمة أو جماعة ؛ فإنه قد

---

(١) حديث صـحيح : رواه مسـلم (٥٣٧) ، وأبو داود (٩٣٠) ،والنسـائي (١/١٤-١٨)، من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه .

يحار في الجواب كما يحار الكثيرون اليوم إلا من رحم الله وقليل ما هم !!!

الدعوة إلى العقيدة الصحيحة تحتاج إلى بذل جهد عظيم ومستمر :

فإذاً ، فالدعوة إلى التوحيد وتثبيتها في قلوب الناس تقتضي منا ألا نمر بالآيات دون تفصيل كما في العهد الأول ؛ لأنهم - أولاً - كانوا يفهمون العبارات العربية بيسر ، وثانياً لأنه لم يكن هناك انحراف وزيغ في العقيدة نبع من الفلسفة وعلم الكلام ، فقام ما يعارض العقيدة السليمة ، فأوضاعنا اليوم تختلف تماماً عما كان عليه المسلمون الأوائل ، فلا يجوز أن نتوهم بأن الدعوة إلى العقيدة الصحيحة هي اليوم من اليسر كما كان الحال في العهد الأول ، وأقرب هذا في مثل لا يختلف فيه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان - إن شاء الله تعالى- :

من اليسر المعروف حينئذ أن الصحابي يسمع الحديث من رسول الله ﷺ مباشرة ثم التابعي يسمع الحديث من الصحابي مباشرة ... وهكذا نقف عند القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية ، ونسأل : هل كان هناك شيء اسمه علم الحديث ؟ الجواب : لا ، وهل كان هناك شيء اسمه علم الجرح والتعديل ؟ الجواب : لا ، أما الآن فهذان العلمان لا بد منهما لطالب العلم ، وهما من

فروض الكفـايـة ؛ وذلـك لكي يتمكن العـالم اليوم من معرفـة الحديث إن كان صـحيحاً أو ضـعيفاً ، فالأمر لم يعد ميسراً سهلاً كما كان ذلك ميسراً للصـحابي ، لأن الصحابي كان يتلقى الحديث من الصـحابة الذين زكوا بشـهادة الله - عز وجل - لهم ....إلخ .
فما كان يومئذ ميسوراً ليس ميسوراً اليوم من حيث صفاء العلم وثقة مصادر التلقي ، لهذا لا بد من ملاحظة هذا الأمر والاهتمام به كما ينبغي مما يتناسـب مع المشاكل المحيطة بنا اليوم بصفتنا مســلمين ، والتي لم تحط بالمســلمين الأولين من حيث التلوث العقدي الذي ســبب إشــكالات وأوجد شــبهات من أهل البدع المنحرفين عن العقيدة الصــحيحة منهج الحق تحت مســميات كثيرة ، ومنها الدعوة إلى الكتاب والســنة فقط ! كما يزعم ذلك ويدعيه المنتسبون إلى علم الكلام .

ويحســن بنـا هنـا أن نـذكر بعض مـا جـاء في الأحـاديث الصــحيحة في ذلك ومنها : أن النبي ﷺ لما ذكر الغرباء في بعض تلك الأحاديث ، قال :" للواحد منهم خمسون من الأجر " ، قالوا : منا يا رسول الله أو منهم ؟ قال : " منكم"[1] .

---

[1] حـديـث صــحيح : رواه الطبراني في الكبير (٢٥٥/١٠) رقم (١٠٣٩٤) ، من حديث ابن مسـعود رضي الله عنه .وله شاهد من حديث عقبة بن غزوان الصحابي رضي الله عنه رواه البزار كما في الزوائد (٢٨٢/٧)وله شـاهد آخر من حديث أبي ثعلبة الخشـني رضي الله عنه رواه أبو داود (٤٣٤١) ، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٩٤) .

وهذا من نتائج الغربة الشديدة للإسلام اليوم التي لم تكن في الزمن الأول ، ولا شـــك أن غربـة الزمن الأول كانت بين شرك صريح وتوحيد خال من كل شائبة ، بين كفر بواح وإيمان صادق ، أما الآن فالمشـكلة بين المسـلمين أنفسـهم فأكثرهم توحيده مليء بالشـــوائب ، ويوجه العبادات إلى غير الله ويدعي الإيمان ؛ هذه القضـية ينبغي الانتباه لها أولاً ،و ثانياً : لا ينبغي أن يقول بعض النـاس : إننـا لا بـد لنـا من الانتقـال إلى مرحلة أخرى غير مرحلة التوحيد وهي العمل السـياسي !! لأن الإســلام دعوته دعوة حق أولاً ، فلا ينبغي أن نقول : نحن عرب والقرآن نزل بلغتنـا ، مع تذكيرنا أن العرب اليوم عكس الأعاجم الذين اسـتعربوا ، بسـبب بعـدهم عن لغتهم ، وهـذا مـا أبعدهم عن كتاب ربهم وســـنة نبيهم ، فهب أننا - نحن العرب - قد فهمنا الإسلام فهماً صحيحاً ، فليس من الواجب علينا بأن نعمل عملاً سياسياً ، ونحرك الناس تحريكاً سـياسياً ، ونشغلهم بالسياسة عما يجب عليهم الاشتغال به ، في فهم الإسـلام : في العقيدة ، والعبادة ، والمعاملة والسلوك !! فأنا لا أعتقد أن هناك شعباً يعد بالملايين قد فهم الإسلام فهماً صحيحاً -أعني : العقيدة ، والعبادة ، والسلوك -وربي عليها.

أساس التغيير هو منهج التصفية والتربية :

ولـذلـك نحن نـدنـدن أبـداً ونركز دائمـاً حول النقطتين الأســاســيتين اللتين هما قاعدة التغيير الحق ، وهما : التصــفية والتربيـة ، فلا بد من الأمرين معاً ؛ التصـــفية والتربية ، فإن كان هنـاك نوع من التصـــفيـة في بلد فهو في العقيدة ، وهذا – بحد ذاتـه – يعتبر عملاً كبيراً وعظيماً أن يحـدث في جزء من المجتمع الإســـلامي الكبير- أعني : شـــعباً من الشـــعوب - ، أما العبادة فتحتـاج إلى أن تتخلص من المـذهبيـة الضـــيقـة ، والعمـل على الرجوع إلى السنة الصحيحة ، فقد يكون هناك علماء أجلاء فهموا الإسلام فهماً صحيحاً من كل الجوانب ، لكني لا أعتقد أن فرداً أو اثنين ، أو ثلاثة ، أو عشرة ، أو عشرين يمكنهم أن يقوموا بواجب التصـفية ، تصفية الإسلام من كل ما دخل فيه ؛ سواء في العقيدة ، أو العبادة ، أو السلوك ، إنه لا يستطيع أن ينهض بهذا الواجب أفراد قليلون يقومون بتصـــفية ما علق به من كل دخيل ويربوا من حولهم تربية صـــحيحة ســـليمة ، فالتصـــفية والتربية الآن مفقودتان .

ولذلك سيكون للتحرك السياسي في أي مجتمع إسلامي لا يحكم بالشرع آثار سيئة قبل تحقيق هاتين القضيتين الهامتين ، أما النصيحة فهي تحل محل التحرك السياسي في أي بلد يحكم بالشرع من خلال المشورة أو من خلال إبدائها بالتي هي أحسن بالضوابط الشرعية بعيداً عن لغة الإلزام أو التشهير ، فالبلاغ يقيم الحجة ويبرئ الذمة .

ومن النصح أيضاً ، أن نشغل الناس فيما ينفعهم ؛بتصحيح العقيدة ، والعبادة ،و السلوك ، والمعاملات .

وقد يظن بعضهم أننا نريد تحقيق التربية والتصفية في المجتمع الإسلامي كل! هذا ما لا نفكر فيه ولا نحلم به في المنام ؛ لأن هذا تحقيقه مستحيل ؛ ولأن الله عز وجل يقول في القرأن الكريم {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}(هود:١١٨). وهؤلاء لا يتحقق فيهم قول ربنا تعالى هذا إلا إذا فهموا الإسلام فهماً صحيحاً وربوا أنفسهم وأهليهم ومن كان حولهم على هذا الإسلام الصحيح .

من يشتغل بالعمل السياسي ؟ ومتى ؟

فالاشتغال الآن بالعمل السياسي مشغلة ! مع أننا لا ننكره ، إلا أننا نؤمن بالتسلسل الشرعي المنطقي في آن واحد ، نبدأ بالعقيدة ، ونثني بالعبادة ثم بالسلوك ؛ تصحيحاً وتربية ثم لا بد أن يأتي يوم ندخل فيه في مرحلة السياسة بمفهومها الشرعي ؛ لأن السياسة معناه : إدارة شؤون الأمة ، من الذي يدير شؤون الأمة ؟ ليس زيداً ، وبكراً ، وعمراً ؛ممن يؤسس حزباً أو يترأس حركة ، أو يوجه جماعة !! هذا الأمر خاص بولي الأمر ؛ الذي يبايع من قبل المسلمين ، هذا هو الذي يجب عليه معرفة سياسة الواقع وإدارته ، فإذا كان المسلمون غير متحدين - كحالنا اليوم - فيتولى ذلك كل ولي أمر حسب حدود سلطاته ، أما أن نشغل أنفسنا في أمور لو افترضنا أننا عرفناها حق المعرفة فلا تنفعنا معرفتنا هذه ؛ لأننا لا نتمكن من إدارتها ، ولأننا لا نملك القرار لإدارة الأمة ، وهذا وحده عبث لا طائل تحته ، ولنضرب مثلاً الحروب القائمة ضد المسلمين في كثير من بلاد الإسلام هل يفيد أ ن نشعل حماسة المسلمين تجاهها ونحن لا نملك الجهاد الواجب إدارته من إمام مسؤول عقدت له البيعة ؟! لا فائدة من هذا العمل ، ولا نقول : إنه ليس بواجب ! ولكننا نقول : إنه أمر سابق لأوانه ، ولذلك فعلينا أن نشغل أنفسنا وأن نشغل غيرنا ممن ندعوهم إلى دعوتنا ؛ بتفهيمهم الإسلام الصحيح ، وتربيتهم تربية صحيحة، أما أن نشغلهم بأمور حماسية وعاطفية ، فذلك

مما سيصرفهم عن التمكن في فهم الدعوة التي يجب أن يقوم بها كل مكلف من المسلمين ؛ كتصحيح العقيدة ،وتصحيح العبادة ، وتصحيح السلوك ، وهي من الفروض العينية التي لا يعذر المقصر فيها ،و أما الأمور الأخرى فبعضها يكون من الأمور الكفائية ، كمثل ما يسمى اليوم بـ (فقه الواقع) والاشتغال بالعمل السياسي الذي هو من مسئولية من لهم الحل والعقد ، الذين بإمكانهم أن يستفيدوا من ذلك عملياً ، أما أن يعرفه بعض الأفراد الذين ليس بأيديهم حل ولا عقد ويشغلوا جمهور الناس بالمهم عن الأهم ، فذلك مما صرفهم عن المعرفة الصحيحة ! وهذا مما نلمسه لمس اليد في كثير من مناهج الأحزاب والجماعات الإسلامية اليوم ، حيث نعرف أن بعضهم انصرف عن تعليم الشباب المسلم المتكتل والملتف حول هؤلاء الدعاة من أجل أن يتعلم ويفهم العقيدة الصحيحة ، والعبادة الصحيحة ، والسلوك الصحيح ، وإذا ببعض هؤلاء الدعاة ينشغلون بالعمل السياسي ومحاولة الدخول في البرلمانات التي تحكم بغير ما أنزل الله ! فصرفهم هذا عن الأهم واشتغلوا بما ليس مهماً في هذه الظروف القائمة الآن .

أمـا ما جاء في الســـؤال عن كيفية براءة ذمة المســـلم أو مسـاهمته في تغيير هذا الواقع الأليم ؛ فنقول : كل من المسلمين بحسبه ، العالم منهم يجب عليه ما لا يجب على غير العالم ، وكما أذكر في مثـل هذه المناســـبة : أن الله عز وجل قد أكمل النعمة بكتابه ، وجعله دستوراً للمؤمنين به ، من ذلك أن الله تعالى قال :{ ... فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ}(الانبياء: من الآية٧) فالله سـبحانه وتعالى قد جعل المجتمع الإسلامي قسمين : عالماً ، وغير عـالم ، وأوجب على كل منهما مالم يوجبه على الآخر ، فعلى الذين ليســـوا بعلماء أن يســـألوا أهل العلم ، وعلى العلماء أن يجيبوهم عما ســـئلوا عنـه ، فـالواجبـات - من هـذا المنطلق - تختلف بـاختلاف الأشـــخـاص ، فـالعالم اليوم عليه أن يدعوا إلى دعوة الحق في حدود الاستطاعة ، وغير العالم عليه أن يسأل عما يهمه بحق نفسه أو من كان راعياً ؛ كزوجة أو ولد أو نحوه ، فإذا قام المسـلم -من كلا الفريقين - بما يستطيع ؛ فقد نجا ، لأن الله عز وجل يقول : { لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْســاً إِلَّا وُسْــعَهَا }(البقرة: من الآية٢٨٦) .

تم الكتاب بحمد الله

فهرس